الفصل الرابع: الأجناس الأدبيَّة التفاعلية:

تندرج عدَّة أجناس أدبيَّة تحت مسمَّى النصِّ المتفرَّع، وبعض هذه الأجناس قديم من حيث نوعه الأدبيِّ إلا إنَّه قد أصاب حظَّاً من التطوُّر في مرحلة النصِّ المترابط، وبعض هذه الأجناس جديد ووليد عصر الإنترنت، والأجناس الأدبيَّة للنصِّ المتفرَّع متعددة أهمها: الرواية التفاعلية، القصيدة التفاعلية، المسرحية التفاعلية

1. الرواية التفاعليَّة:

ويطلق عليها بعض النقاد الرواية الرقميَّة، وهي نوع جديد من الأجناس الأدبيَّة يعتمد في بنائه نظام الروابط، أي تكون الرواية فيه مقسَّمة على شكل روابط، يحتوي كل رابط على جزء من الرواية يصلح أن يكون مستقلاً عنها، وذلك لعدم تأثره بطريقة القراءة الخطيَّة للنص المكتوب، كما يحتفظ كلُّ جزء من هذه الرواية بعلاقة مع بقيَّة أجزاء الرواية الأخرى، وقد ظهرت أوَّل رواية تفاعليَّة في الغرب في العام 1986م، وكانت بعنوان(قصة ما بعد الظهيرة) للكاتب(ميشيل جويس)، والذي استخدم فيها برنامجاً حاسوبيَّاً يسمى بالمسرد(story space) ، وكانت الرواية مكتوبة باللغة الإنجليزيَّة.

ثم ظهرت روايات تفاعليَّة أخرى مكتوبة باللغة الفرنسيَّة مثل رواية (عشرون في المائة حب زيادة) لـ(فرانسوا كولون)، ورواية (الزمن القذر) لـ(فرانك دوفور)، وكان ذلك في العام 1996م، ثم تتابعت كتابة الروايات التفاعليَّة في الغرب،كما ظهرت برامج أخرى لكتابة الرواية التفاعليَّة مثل برنامج الروائي الجديد(new novelist)، وتتيح هذه البرامج دمج الأشكال والصور والموسيقى ومقاطع الفيديو في ثنايا النصِّ الروائيِّ.

أمَّا أوَّل رواية تفاعليَّة في الفضاء العربيِّ فهي رواية(ظلال الواحد) للكاتب الأردنيِّ محمد سناجلة، وكان ذلك في العام 2001م، وقد نشرها على موقعه على الإنترنيت،ليصبح رائد الرواية التفاعليَّة العربيَّة، والذي استطاع أن يوظِّف تقنيات النصِّ المتفرَّع وخاصيَّة التفرع في بناء سرديَّة لا تخضع لمنطق الخطيَّة في بنائها السردي. ثمَّ تعدَّدت أشكال الرواية التفاعليَّة فظهرت رواية

المقاطع(الرواية كليب(novel clip)، ويحتوي هذا النوع من الروايات على عبارات مفتاحيَّة تقود القارئ من مكان إلى آخر في فضاء الرواية، بالإضافة إلى اطلاعه على مقاطع فيديو لها علاقة بموضوع الرابط الذي يتابعه المتلقِّي، فمثلاً لوكانت الرواية تتحدث عن قصَّة اغتيال الرئيس الأمريكي الأسبق (جون كنييدي) فسيجد المتلقِّي مقاطع فيديو لعمليَّة الاغتيال، ومن أشكال الرواية التفاعليَّة أيضاً ما يُعرَف برواية (الويكي(novel wiki)،(وهذا النوع من الروايات يعتمد في وجوده على خاصية التحرير الجماعيِّ، وذلك على طريقة تحرير الموسوعة الحرَّة(ويكيبيديا)، والتي تتيح لكلِّ القراء المشاركة في بناء المقالة بالحذف والإضافة، وكذلك الأمر في رواية (الويكي) يضع المؤلف الرئيس بذرة الرواية، ثم يترك المجال للقراء للاعتناء بنموها بمشاركاتهم بالحذف والإضافة بكلِّ المواد من نصوص وصور ورسوم ومقاطع فيديو وموسيقي.

ويتضح من هذا أنَّ الرواية التفاعليَّة قد حاولت التخلُّص من مبدأ خطيَّة الرواية المكتوبة مع الاحتفاظ بكينونتها الروائيَّة، إلاَّ أنَّها انتهت إلى نوع آخر من الأجناس الأدبيَّة تتداخل في بنائه عناصر وتقنيات لم تكن لها علاقة بالكتابة الروائيَّة في السابق مثل الموسيقى ومقاطع الفيديو.

2. القصيدة التفاعليَّة:

وهي التي عرَّفها (لوس غلايزر)–مدير مركز الشعر الإلكتروني على شبكة الإنترنت– بأنَّها: "القصيدة التي لا يمكن تقديمها على الورق."، وتعتمد هذه القصيدة في بنائها وتلقِّيها على الوسائط الإلكترونيَّة، فنجدها منشورة على مواقع الإنترنت أو من خلال أقراص مدمجة يتمُّ تشغيلها عبر جهز الحاسوب. وقد ظهرت القصيدة التفاعليَّة في الغرب على يد الشاعر الأمريكي روبرت كاندل في العام 1990م، وذلك بنشره أوَّل قصيدة تفاعليَّة له على موقعه على الإنترنت. وقد رأت فاطمة البريكي أن لا وجود للقصيدة التفاعليَّة العربيَّة، وما ينشر على الإنترنت من قصائد ما هو إلَّا قصائد رقميَّة، وربما يكون هذا الرأي صحيحاً عندما صدر كتاب(مدخل إلى الأدب التفاعلي) لفاطمة البريكي في العام2005م، وذلك لوجود قصائد تفاعليَّة عربيَّة تحقَّق فيها شرطالتفاعليَّة، ومن هذه القصائد قصيدة (تباريح رقميَّة لسيرة بعضها أزرق) للشاعر العراقي مشتاق عبَّاس، والذي يُعدُّ رائد القصيدة التفاعليَّة في الأدب العربي، حيث جعل للقصيدة مدخلان أحدهما: خط عمودي

ممثَّل بأيقونتَيْنِ تحملان عبارة (اضغط فوق ضلوع البوح)، والآخر طريق عمودي في الواجهة الرئيسة، ويتضمَّن خمس أيقونات، كتب عليها رأسيَّاً بالتسلسل: أيقنت، أن، الحنظل، موت، يتخمر. وكلُّ أيقونة تفضي بكلمتها المفتاحيَّة هذه إلى نصٍّ شعري.

3. المسرحيَّة التفاعليَّة:

تعتمد المسرحيَّة التقليديَّة في بنائها على عنصرين هما: النصُّ، والعرض. ويمثِّل العنصر الأول(النصُّ) المادة الخام التي تتكوَّن منها المسرحيَّة، بينما يمثِّل العنصر الثاني(العرض) الوسيلة أو القالب التي يُقدَّم فيه العنصر الأول(النصُّ) على شكل حوار ومشاهد وإطار زماني ومكاني، وظلَّت هذه الثنائيَّة البنائيَّة هي السائدة في تكوين المسرحيَّة التقليديَّة حتى ظهرت المسرحيَّة التفاعليَّة، والتي تعتمد في بنائها على تقنيات الحاسوب ووسائطه المتعدِّدة، فأصبح للنصِّ المسرحي التفاعليِّ عقداً وروابطاً تشعبيَّة متشابكة، وتمكِّن تلك الروابط المتلقيِّ من المشاركة في بناء النصِّ المسرحيِّ وتحديد مساره، كما تتيح له حريَّة الاختيار في متابعة الشخصيَّة التي يختارها عبر تلك الروابط، وهذا أمر لم يكن متاحاً في المسرحيَّة التقليديَّة إذ يتحكَّم المخرج في تحديد زمن ظهور الشخصيَّة المسرحيَّة وتحديد مسارها.وقد ظهرت المسرحيَّة التفاعليَّة في الغرب على يد تشارلز ديمر، والذي كتب أول مسرحيَّة تفاعليَّة في العام1985م، وغرضه من تأليف تلك المسرحيَّة كتابة نصٍّ يعرض بالتزامن وليس بطريقة خطيَّة كما في المسرحيَّة التقليديَّة.

ومن نماذج المسرحيَّات التفاعليَّة مسرحيَّة (النورس البحريّ) وهي في الأصل للروسي تيشكوف، وقد قام تشارلز ديمر بتحويلها إلى مسرحيَّة تفاعليَّة، وهي موجودة على الإنترنت، ولصفحة البداية عبارات ترحيبيَّة، فإذا اختار المتلقي خيار(بدأ العرض) تظهر له قائمة بأربعة فصول يمكنه البدء بأيٍّ منها، دون الالتزام بالنسق الخطيِّ للمسرحيَّة، ثم يمكنه بعد ذلك اختيار الشخصيَّة التي يريد متابعتها مع حريَّة الاختيار في مشاهدة أيِّ مشهد من مشاهد الشخصيَّة المختارة،وهذا النوع من المسرحيَّات التفاعليَّة لم يظهر بعد في الفضاء العربيِّ، وذلك لأسباب حضاريَّة وثقافيَّة وتكوينيَّة للمسرحيِّين، وبعضها متعلِّق بالمتلقي الذي يعاني الغربة القرائيَّة ناهيك عن تفاعله مع الشبكة والإبداع المعروض فيها.